تفسير البيضاوي

الجزء الأول فقط

قلمي

لا نعلم اسم كاتبه ولا تاريخ الكتابة

سها
الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها اختلف في انها اية برا
او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القران حتى لم تكتب
آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي
بتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدا له وذلك
اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة
اضمار فيه وتقديم المعمول هنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها
ومرسيها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل
في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراة كيف لا
وقد جعل الة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر
باسمه تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدا ببسم الله
فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرا وهذا
وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد
على نعمه ويسال من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة
ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام
الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ولام
التاكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها

عليه

كسرت

اولها

لكثرة استعمالها وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبداء بهما همزة الوصل لان من دابهم ان يبتداء بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجي سمي كهدي لغة قال والله اسماك سمي مباركا اثرك الله تباركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمي واشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذف الواو وعوض عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلام ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة اسمه والاسم ان اريد اللفظ فغير المسمي لانه لا يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة كالالفاظ المترادفة ويتحد اخرى والمسمي لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشي فهو المسمي لكنه لم يشتهر بهذا المعني وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمي والى ما هو غيره والى ما هو ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك

والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله في النداء بالقطع الا انه مخصوص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تاله واستاله وقيل من اله اذا تحير اذا العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن بمعرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه والهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل الاه كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به

ولانه لابد له من اسم تجري عليه صفاته ولا تصلح له مما يطلق عليه سواه

ولانه لو كان وصفا لم يكن كونه لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن

فانه فيد لا يمنع انه الشركة والحق انه وصف في اصله ولكنه لما غلب عليه

بحيث لا يستعمل في غيره صار كالعلم كالثريا والصعق اجري مجراه في اجراء

الاوصاف عليه وامتناع الوصف وعدم تطرق الشركة اليه لان ذاته

من حيث هو بلا اعتبار امر اخر حقيقي او غيره غير معقول للشركة فلا يمكن

ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى

وهو الله في السموات والارض معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون

احد اللفظين مشاركا للاخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين

الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف

الاخيرة وادخل اللام عليه وتفخم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة

وقيل مطلقا وحذف الفه لحن يفسد به الصلوة لا ينعقد به صريح

اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله

بارك في رجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان

من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف

يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله

انما توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي يكون

انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى

كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك انما توخذ تارة باعتبار الكمية

واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم

المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يختص بالمومن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا

والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية

فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى

لتقدم رحمة الدنيا لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف غيره لان

معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره

لان من عداه مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل الثواب او جميل ثناه

او مزيل رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان

ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليها والتمكن

من الانتفاع بها والقوى التي يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه

لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلايل النعم واصولها

ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها ليكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة

على رؤس الاي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله

ان يكون له مونث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه

وتخصيص التسمية بهذه الاسماء منع ليعلم العارف ان المستحق لان

وآجلها

به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها
جليلها وحقيرها فتوجه بشراشره الى جناب القدس وتمسك بحبل التوفيق
ويشتغل بذكره والاستمداد به من غيره الحمد لله الحمد هو الثناء
على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل
مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول على حسنه بل مدحته
وقيل هما اخوان والشكر في مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال
افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه
واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على
مكانها لخفاء الاعتقاد وفي اداب الجوارح من الاحتمال جعله راس الشكر
والعمدة فيه وقال عليه الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله
من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء
وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل
على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر
التي تنصب بافعال مضمرة لا يكاد يستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرف كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد
في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط
كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر

مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع
الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة
كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم
ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره الا
مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم ما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها
لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
غيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد
منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك
سوى بين النظر فيهما فقال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب
العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه
دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي

محتاجة

مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك
يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك يوم وهو المختار
لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك
هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ وملك بالتخفيف
وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع
منونا ومضافا على انه خبر مبتداء محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق
سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له
مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه
ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك
في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه
صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين
وتخصيص اليوم بالاضافة لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا
لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم

يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه
بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته
وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات
لا يكون اهلا لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده
فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية
والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه اي يصدر منه لايجاب
بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع
لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه وتضمين الوعد للحامدين
والوعيد للمعرضين اياك نعبد واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
ووصف بصفات عظام تميز بها على ساير الذوات وتعلق العلم
بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال
من الغيبة الى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا
والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر
والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه والاستدلال بصنايعه
على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض
في لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه

تنفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن
عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تطرية وتنشيطا
للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت
له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود
واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف
زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في
انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه
عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد
عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق
بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك
بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة
وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار
الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها

يصح

يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية
تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب
الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف
والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن
في الفعلين للقاري ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولساير
الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم
لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول
للتعظيم والاهتمام والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه
نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم والتنبيه على ان العابد ينبغي
ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث
انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها
الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن
حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه عليه السلام
حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به
لا غيره وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الاي ويعلم منه

ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم
العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله
واياك نستعين ليدل على ان العبادة مما لا تتم ولا تستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما
وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم
ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف
ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه
الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وهداية الله
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول
افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية
والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين وقال وهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف



على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات
الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب
المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك
لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك
والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل
بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي
لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد
تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة
قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير
والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام صراط
الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل
من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين
هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له
وكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين
وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
وقيل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة

وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة
وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تنحصر في جنسين دنيوي واخروي فالاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم
والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل
وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة
والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط عنه ويرضى
عنه ويبوأه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم
الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك تشترك فيه
المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى
ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة
او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي الايمان وبين السلامة من
الغضب والضلالة وذلك انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة
اذا لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني.
وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف
الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن
ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني
او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس

ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم
في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاولى ولا مزيدة لتاكيد ما
في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك
جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا
مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي
عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير
قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه
والضالين النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا
ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليهم
من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل
احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق
الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء
الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وقال مجاهد هو اسم من اسماء الله
واصله يا امين فحذفت يا لندرة الاستعمال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء
الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين
فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به
لقوله عليه الصلوة والسلام علمني جبريل امين عند فراغي من قراءة الفاتحة

وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر
انه عليه الصلوة والسلام كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته
وعن ابي حنيفة رحمه الله انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله
بن مغفل وانس والماموم يومن معه لقوله عليه الصلوة والسلام اذا قال
الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة يقول امين فمن وافق تامينه
تامين الملائكة غفر له من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والزبور والقران
مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله
اذ اتاه ملك فقال له ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لم تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا
فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى
فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة          مدنية وايها مائتان
وسبع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها
اسماء مسمياتها الحروف التي يتركب منها الكلام لدخولها في حد الاسم
واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها
وبه صرح الخليل وابو علي وما روي ابن مسعود انه عليه الصلوة والسلام

قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف
لكن الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى المصطلح عليه فان تخصيصه
بها الحروف به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها
حروفا وحدانا وهي اسامي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى اول ما
يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما
لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها
قابلة اياه معرضة له اذ لم يناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا
فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر
الكلام وبسايطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن
تحدي بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه
كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم
عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز
فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس واما من الامي الذي
لم يخالط الكتاب لمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما
وقد راعي في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد
في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد الالف
فيها حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة
على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه
ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف

دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن
التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها
على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له
في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم
لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون
مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب
او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها
قفي فقالت لي قاف كما روي عن ابن عباس انه قال الالف الاء الله واللام لطفه
والميم ملكه وعنه ان الر وحم ونون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم
ونحو ذلك في ساير الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد اي القران منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه الصلوة والسلام
او الى مدد اقوام واجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روي انه
عليه الصلوة والسلام لما اتاه اليهود وتلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا
كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها
ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم
دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها
فيما بين الناس حتى العرب يلحقها بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس



او دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب
لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكرهة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى
ويستدعي تاخر الجزء على الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول
هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستيناف
يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى
في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول
ابن عباس رض فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل باملة
حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث
لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع
لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا
ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد
فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو
مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب
الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك
في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل
انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى

ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلها
وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبداء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها
والميم من الشفه وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي اول كلامه واوسطه
ما يقرب منه واخره ذكر الله وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله
او القران او السورة كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر
او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر
او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك
ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه
الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما
بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون
جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة
منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداءة والمفردات
المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها
وليس شي منها اية عند الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطس ويس وحم اية وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا
توقيف لا محل للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى القران اول بالمولف



من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل
الى المرسل اليه صار متباعدا عنه اشير اليه بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد
بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو والى الكتاب فيكون
صفته والمراد به الكتاب الموعود وانزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعنى
المفعول كاللباس ثم عبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا
لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية
فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة
نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيها
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال
من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل
مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به
الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا
يريبك لان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى
للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه
الدلالة مطلقا وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل الضلالة في قوله تعالى
انك لعلى خلق عظيم هدى وفي ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى

بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية
المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يومنون بالغيب اما موصول بالمتقين
على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية
على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة فانها امهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام
الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين وتخصيص ما ذكر بالذكر
اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم
الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل
تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما
مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين
تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق
من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف
وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد
صحابة وكلا الوجهين في يومنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة
انه من دين محمد عليه الصلوة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع
ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة
والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر
ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان

غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه
اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان ولم تومن قلوبهم ولما
يدخل الايمان في قلوبكم وقلبه مطمئن بالايمان وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من
قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء
هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود
ام لا بد من اقتران الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر
من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب
مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل
والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد
في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته
حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يومنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم او عن المومن به لما روي ابن مسعود رضي الله عنه قال
والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية

وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بأفواههم
ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث
للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع
زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومها او يواظبون عليها من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق
الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق
الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون
لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه
واجتهد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة
لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول
اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من
الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك
ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه
وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح
في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد
ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم

انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به
والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر
عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم
لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له
بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه
لو لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة الا على الله
رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ لوجدت كل ما فاؤه
نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف
المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل
فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول به للاهتمام به
والمحافظة على رؤوس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف
المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي انعم الله بها من النعم الظاهرة
والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما لا ينفع ككنز لا ينفق منه
واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله

جمله

بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في

المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار

وبهولاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على

المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل

ويحتمل انه يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العطف كما وسط في قوله الى الملك

القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يالهف زيابة للحارث

الصابح فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل

جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا

طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين وتغاير القبيلين

او طائفة منهم وهم مومنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر

جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشارة بذكرهم وترغيبا لامثالهم والانزال

نقل الشي من الاعلى الى الاسفل وذلك لا يتحقق في الكلام وهو انما يلحق المعاني

بتوسط لحوقه الذوات الحاملة ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان

يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به

الى الرسول فيلقيه اليه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخره

وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد

او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد

موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك

سائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني

حل

تفصيلا من حيث انا متعبد وبما بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل واحد

يوجب الحرج وفساد المعاش وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زاح عنه ما كانوا

عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما

معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه

الكتاب

وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من اهل

العلم

وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم

بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال والنظر ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى

ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار

الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه

ووقتت ونظيره لحب الموقدان الي موسى وجعدة اذا اضاءها الوقود اولئك

على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل الموصولين مفصولا من المتقين

خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله

الصفات

الذين يؤمنون الى اخر الايات والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام

المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى

الاشارة

ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم

ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف باعادة

الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتيب الحكم على الوصف ايذانا

بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه

بحال من اعتلى التني وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل دعوى واقتعد غارب
الهوى وذلك انما يحصل بالفراغ الفكر واداته النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة
على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه
ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد
وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه والموفق له وقد ادغمت النون
في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان
اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحد من الاثرين وان كلا منهما كاف في تميزهم
بها من غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه
بالبهائم شيء واحد وكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف
وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه
الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة والاشارة الى ما يعرفه كل واحد من
حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز
وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء
اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب

ورد

ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس
على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة
اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم اضدادهم العتاة
المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف
قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى
مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت
الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي
خاصة في دخولها على اسمين لذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول
ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل
دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب
فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها
في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض
الشك مثل ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وقال موسى يا فرعون اني رسول الله من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله
قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله
لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم
كابي لهب جهل والوليد بن مغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم

على الكفر وعنيهم فخص عنهم غير المصرين بما اسند عليهم وهو سواء عليهم والكفر
لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام
الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانهما يدلان على التكذيب فان من صدق الرسول
عليه الصلوة والسلام لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة
بما جاء في القران بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب
بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار
عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث
المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى
واذا قيل لهم امنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وانما عدل هاهنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد
وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا
عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب
لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف
اريد به التخويف عن عقاب الله تعالى وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع

في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع
فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف
الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحرك لا يقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين
على غير حده وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة
لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف
ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا
انقلب خبره كذبا وشمل الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال
لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه
كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه
لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم
يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الاية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي
من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل
للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم
عليه لانه كتم له والبلوغ اخره نظرا الى انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة
فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة

ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة
تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم
في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم
تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها
وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية ومثل قلوبهم
ومشاعرهم المأوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما
وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته واسندت اليه ومن حيث
انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم
امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فذكروا وجوها من التاويل الاول
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة
لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب
البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها
ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث
ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره

اياه اسند اليها اسناد الفعل الى السبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي
انهماكهم في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء
بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه
بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم
وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى
من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه
وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب
جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار
لما اختص من جهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة
وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد
السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع
او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل
المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل
العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى

لين كالآله قلبت وانما جازاما لتهامع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند
الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل
على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم وقرئ
بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح
مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد
وبيان لما استحقوه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه
اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا
ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن
المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب
كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير وكما ان
الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر
ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على
ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم
من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول آمنا
وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر
ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا التفاتة راسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم

الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول سبحانه وتعالى
في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب
لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها
معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت
الهمزة وحذفها في لوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما
وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او انس لانهم ظاهرون
مبصرون ولذلك سمي بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين
كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم
صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة
زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع
بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان
وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا
يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه
واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعيف خبثهم

واظهم في كفرهم لان قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم
لم يكونوا كذلك ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير البا
ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقع
بمعنى المقول والمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ والرأي والمذهب مجازا
او المراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار لما ادعوه ونفي
ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح لشان الفعل
دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه
جوابه تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا
لان تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف
مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان
توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب
اذا توارى وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب
اخر عليه واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيفتين في
في العنق والمخادعة يكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى
عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف
او على ان معاملة الرسول معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال الله تعالى

الرسول فقد اطاع
من يطع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله
من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم
عنده من اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول
والمؤمنين امر الله اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم مثل صنيعهم صورة
صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد يخادعون الله يخدعون لانه بيان يقول او استيناف
بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت
للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء مقابله معارض ومبار استصحبة
ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم
ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء
وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعون على اسرارهم وان يذيعوها الى منابذهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير
وابي عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك
خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة
وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون
لان المخادعة لا يتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدعون من خدع ويخدعون
بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم
بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به والقلب
لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه
وللراي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تامره وتشير عليه

يخدعون
والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم وما يشعرون وما
بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس
الذي لا يخفى الا على ماوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله
الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية
التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة
عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان
قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرونه
من ثبات امر رسول الله واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء
امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي
صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف
النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها
الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا
في البلاد ولهم عذاب اليم مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف به
العذاب للمبالغة كقولهم تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا
يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم
وهو قولهم امنا وقرا الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول

لقلوبهم واذا خلوا الى شطار دينهم او من كذب الذي هو للمبالغة والتكثير مثل بين الشيء
وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان
المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل
به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات
فالمراد التعريض ولكن شابه الكذب في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض
عطف على قوله يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله
اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية
متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح
ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الفتن والحروب
بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يودي الى فساد
ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان
الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل
هو الله تعالى او بعض المؤمنين وقرا الكسائي وهشام قيل باشمام الضم قالوا انما نحن
مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا
بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان
انما تفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما
قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة

على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقها ونظيره
أليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها
اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط الفصل لرد ما في قولهم
انما نحن مصلحون من التعريض للمومنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم امنوا
من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود
بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا كما امن الناس في حيز
النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد
به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه
مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال
زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعها الشاعر في قوله
اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من امن من اهل
جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان
ايمان وان لم يفد التقييد قالوا انومن كما امن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها
الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة راي يقتضيها نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله

الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف
بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتميز
بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانه
تدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين امنوا
قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المومنين والكفار وما صدر به القصة فمساقه لبيان
مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر
من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال
مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته
اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان
واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم
الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقايلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية
على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى

زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان
لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا
عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المومنين
ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف وكان
الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المومنين وتدعون
الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزات
بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزئ فلان السريع
اذا مات على مكانه وناقته تهزا به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ
باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ
بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم
معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم
بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح
لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف
على ان الله تعالى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم

لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق
قولهم انما نحن مستهزءون ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت
السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى
باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم
اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المومنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت
بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان
من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك اليه اسناد الفعل الى المسبب
واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق
ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي وقال واخوانهم يمدونهم
في الغي وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما
زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى
قومه سبعين او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم
والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر
واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة
كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها
قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

فان كان

اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء
والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتري واخذه بايع ولذلك عدت
الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان
من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء
طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى
فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه لما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا و
اسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل ولمشابهتها اياه من حيث
انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة
راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة
والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسل به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح
فاقدين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل
زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا
والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء

والحكماء

والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك
حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة
مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم
العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي
خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا تجمع
اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه
مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي
استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع
لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت
ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون
مسندة الى ما والتانيث للحمل على المعنى لان ما حوله اشياء واماكن والى ضمير النار وما موصولة
في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران
وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه
للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها

او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت
ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب
الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي وامر سماوي كريح
او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له
ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله
بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور
عنهم راسا الا ترى كيف كرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون
فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها
ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد
فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر
فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال
او ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك وكان الفعل غير متعد والاية مثل
ضربه الله من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا او متحسرا تقريرا
وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم



اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم
ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن
ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور
الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود اليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال و
الاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب
اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب
نورها صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا بها
السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا
سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشيء الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريق التمثيل لا الاستعارة اذ
من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول
لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة
يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بان له
حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره
اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين
على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها
والمعنى انهم لما اوقدوا نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة
ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب
على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل

جراحهم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقد حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ
مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر
عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي
باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد نارا
او كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع
فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم
آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى
او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة
التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول من السماء يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب و في الآية
يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سماء
قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء
والتنكير بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب
المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا
للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته
وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد

صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها
الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل
ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف
لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان
المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف
حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت
وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق او بشدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة
وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء
الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت
والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية
لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استئناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم
مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود

جاء

لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرطه او لعروض مانع وعسى موضوعه لر

جاء فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفه بخلاف عسى وخبر مشروط فيه ان يكون

فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة

على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لتشاركهما

في اصل معنى الترجي الكاف ثم اد غمت في الطاء والخطف بكسر الخاء والطاء الاتقاء

واتباع الياء لها وتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا

استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك

واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما

لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه متعديا منقولا من ظلم الليل

وتشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام نصفهما اظلما

حالي ثم اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين

لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال

مع الاضاء كلما ومع الاظلام اذ الا انهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه

فرصة انتهضوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت

السوق اذا ركدت قام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم

اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق

لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء

واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما

لبكيته ولو من حرف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء



الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقوى لاذهب ما سماعهم بزيادة الباء

كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم

وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة

بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير

كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى

شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى شيء اخرى

اي شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله

على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا

الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع

ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد

الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة

الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل

والقدير هو الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قل يوصف غير الباري تعالى واشتقاق

القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه

مشيته وفيه دليل على ان حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدور وان مقدور

العبد مقدور الله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة

التمثيلات المالفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع امور تضامت اجزاؤه

وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية

ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله

مما يجمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد
من انطفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة
مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل
المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه بالاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء
وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة ما حول المستوقدين وزوال ذلك
عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في الخسار القايم والعذاب السرمد
باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط
بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق وان كان نافعا في نفسه لكنه
لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم ضررا عن نكايات المومنين
وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار
وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق
خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان تخطف ابصارهم خطوا خطى يسيرة
ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه القران والايمان وسائر
ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به
حيوة الارض وما ارتكبت بهما من شبه المبطلة واعترضت دونهما من الا[عتراضات]

المشكلة بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد وما فيهما من الايات الباهرة
عما يعمون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنيه عنها مع انه
لا خلاص لهم وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد يطمح اليه ابصارهم بتشبيههم في مطمح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم
في الامر حيث تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها
الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الا[جلة]
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا
ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب
على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا
لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب
تنزيلا منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل
الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى
جملة مفيدة لانه نايب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال
يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادي
واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود وأقحمت
بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر
النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى
الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا

بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادي له بالاكد الابلغ والمجموع
واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتاكيد
بما يفيد العموم كقوله تعـ فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى
لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين
ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل
فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه
بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة
فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب
تقديمه على المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم
الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب
رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال
ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه
للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد
بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين
من قبلكم متناول بكل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان منصوب معطوف
على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم
كما قال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سالتهم

من خلقهم ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام
الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي
لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال عن الضمير في
اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين
بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعـ نبه به على ان التقوى منتهى درجات
السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ان لا يغتر بعبادته
ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعـ يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل
تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة
الله تعـ والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال
بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده
عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض
فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا
وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله قد جعلت قلوص ابن سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد
فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعـ وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير

ويتعدى الى مفعولين كقوله وجعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة
وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء
مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت
مهياة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها
مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها
كالجبل والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد
كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة
او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج
الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على
المادة الممتزجة منهما واودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد
من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال
الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته
ليست في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب
فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل

قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات بعض رزقكم وهكذا الواقع
اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا
او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ
الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرا على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن
حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول ان اريد به المصدر كانه
قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه
او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا فاطلع في قوله تعالى
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحقها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها
غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به
على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه
لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام
ينبغي ان لا يشرك والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب
نديد وند اذا نفر وناددت الرجل خالفته وخص بالمخالفة المماثل في الذات
كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا
وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم تركوا
عبادته الى عبادتها وسموها الهة تشابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات

واجبة بالذات قادرة على عمهم عن تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله
والله بهم من خير متهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له
ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا
واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل
الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم
من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات متفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها
تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والتثريب
والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر لعبادة
لله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر
بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه
خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم
والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت
هذه امورا لا يقدر عليه غيره وشاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن
الاشراك ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام
الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من الفضائل العلمية والنظرية
المحصلة بواسطة العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية بالثمرات المتولدة
من ازدواج القوى السماوية الفاعلية والارض المنفعلة بقدرة الفاعل المختار

فان

فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلع وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو القران المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب
بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله
كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما نرى عليه اهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة
واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف
العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطايفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة
من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس
غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القاري او لها مراتب
في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن سورة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا
افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ
والترغيب فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا وطوى
بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة

فنظم

محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده ويبتهج به الى غيرها من الفوائد من مثله
صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين
او زايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتداء اي سورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب
ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه
المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل
عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان
ياتوا بمثل ما اوتي به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو
ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان
صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله
فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه يسمى به لانه يحضر النوادي ويبرم
بحضرته الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في
سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجو من المثوبات او الملائكة حضروه ومعنى
دون ادنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك
هذا اي خذ هذا من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو
اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في تجاوز حد الى حد وتخطي
امر الى امر اخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين

اي

اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك من دون الله
من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى
وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم والهتكم غير الله
فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة
الحجة او بشهدائكم والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم اولياء والهة وزعمتم
انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة
القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله من دون اولياء الله يعني فصحاء
العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر
انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله
لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار
عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به
وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو الفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم جميعا في الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به
واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف
بالفعل الذي يعم الاتيان به وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل

الكناية تقرر المكنى عنه وتهويل لشأن العناد وتصريحًا بالوعيد مع الايجاد
وصدّر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القايل
سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما
بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم
وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها
لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان
تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ
وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى
اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار
وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت
النار وقودا غاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير
منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا
في شفاعتها والانتفاع واستدفاع المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب
الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب
والفضة التي كانوا يكنزونها ويفخرون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص
اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص

بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد
بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا
عن ابن عباس رضي الله عنهما فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت
لساير النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار
قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما
بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد
على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن
وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء
لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه
المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان
النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات عطف على
الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من
كفر به وكيفية عقابه على ما جرت العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب

تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيطاً عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه
حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم
اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به
استوجب العذاب ومن امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء العقاب
ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه الصلوة والسلام او عالم كل عصر او كل احد
يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيماً لشانهم
وايذاناً بانهم احقاء بان يبشروا ويهنوا بما اعد لهم وقرئ وبُشر على البناء للمفعول
عطفاً على اعدت فيكون استينافاً والبشارة الخبر السار فانه يظهر السرور في البشرة
ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني
بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعاً
واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريق قوله تحية بينهم ضرب
وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء
كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب
تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة
او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا الحكم عليهما اشعاراً
بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين
فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اُسٌّ والعمل الصالح
كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل
على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه وما هو

داخل

داخل فيه ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره
مثل الله لافعلن كذا والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي به الشجرة المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة
واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم
البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل
سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان
والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا
وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان
يستمر على الطاعات ويموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت
وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام لئن اشركت
ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها تجري
من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تريها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار
للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار
المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن على الاضمار او المجاز او المجاري

انفعها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها
من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف
اوجملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار
الدنيا او اجناس آخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن
الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين
رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات
وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرتها فصاحب الحال الثانية ضمير المستكن في الحال
ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة
الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين
المشاهدة بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته ولو كانت الاشارة الى عينه
وذاته فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمرة الجنة
من جنس ثمرة الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطبايع مايلة الى المالوف
منفرة عن غيره وتبين لها مزية وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن
انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن
ان احدهم يوتى بالصحفة فياكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي وا
الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى

قالوا

قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول
كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك
والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي
رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني
الغناء والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود
بين الثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء
قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو
كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في
مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها
فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في
الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون
في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض
والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق
والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن
فاعلة وفواعل واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور
فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر
الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وليس هو الا الله والزوج يقول للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه

كزوج الحف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المناكحة
التوالد وحفظ النوع وهو مستغنى عنها قلت مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها
انما تشارك نظايرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمايها على
سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها
وتفيد عين فايدتها وهم فيها خالدون دايمون والخلد والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من
الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد
في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد
يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما وضع للاعم فاستعمل فيه
بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان
قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة والكيفية معرضة للاستحالات المودية الى الانفكاك
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها
الاستحالة بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفية ومتساوية في القوة لا يقوى
شي منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما
يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما
نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة والراي واعلم انه لما كان
معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء
وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال

كانت

كانت منقضة غير صافية من شوايب الالم بشر المومنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة
بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم
في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الايات
السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر
والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له
ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه
عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه
ميل الحس وحب المحاكات ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم
وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة
والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوضة لا ما قالت الجهلة من الكفار
لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن
والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل
من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل
على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن به بعد
ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء

انقباض النفس من القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح
وعدم المبالاة بها والخجل الذي انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة
فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل
نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله
يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه الله حيي كريم اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا
اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما عدل به عن الترك
لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في
كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان
بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى
فبما رحمة ولا نعني بالمزيد اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما
لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة
وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل
وقرئت بالرفع على انه خبر مبتداء وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون
موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن

مرصد

موصولة بصفة كذلك ومحلها النصب على البدل على الوجهين واستفهامية هي المبتداء
كانه لما ردوا استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب
به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينارا
ودينارا ان والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على
هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد
عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي
ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر منها او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو
الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلوة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره
في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له
درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد
عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلوة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف
يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال
سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا
ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر وعوضوا المبتداء عن الشرط لفظا
وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين
على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ

انكاره يعم الاعيان الثابته والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر
اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما
الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلاً
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله
بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهاميه وذا بمعنى الذي وما بعده صلته
والمجموع خبرما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شي منصوب المحل على المفعو[ليه]
مثل اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب
السوال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه فيقال للقوة التي
هي مبدأ النزع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف
الباري تعم به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لا فعاله انه غير ساه
ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعوا القادر الى تحصيله والحق انه
ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح
وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وهذا في الاستحقار والاسترذال ومثلا
نصب على التميز او الحال كقوله تعم هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر
للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده
ضلال وفسق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس

تعالى
الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلالة والشرف كما قال الله
وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا وكثير اذا شدوا وقال
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين
اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم
فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال روبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب
الكبيرة وله درجات ثلث الاول التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها
والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود
وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خطط
خلع ربقة الايمان عن عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك
فلا يسلب عنه اسم الايمان لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى
وان طائفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوا قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص
الاضلال بهم مرتبه على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال
وادى بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم
على الباطل صرفت وجوههم وانكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى
رسخت به جهالتهم وازدادت به ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقري

يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع والذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين
للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال
العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط المتعاهدين بالاخر فان
اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه
وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس فان فيها تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر
بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووصفه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية
واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها وللتاريخ لانه يحفظ
وهذا العهد اما المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة
على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل عهود الله ثلثه
عهد اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على
النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا
الحق من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق لما يقع به الوثاقة وهي
الاحكام والمراد به عهده من الايات والكتاب او ما وثقوه به من الالتزام
والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء
النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة

لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المسلمين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام
والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي
شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل
والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه يؤمر به كما قيل له شان
وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل
النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون
في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها صلاح
العالم ونظامه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر و
اقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات
بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار
وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لان صدوره
لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك
انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده
من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال
خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية
خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما
لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة

فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانها متصل بما عطف عليه
غير متراخ بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ الصور
او للسوال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه
من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل علموا انهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه ترجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب من الدلايل منزلة منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما في الاية
تنبيه على ما يدل على صحتهما وسوال الله تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر على ان يحييهم
ثانيا فان بدء الخلق باهون عليه من عادته او مع القبيلين فانه لما بين دلايل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم
النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم
الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل تعداد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال الله تعالى
وان دار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة
هو المعنى المنتزع من القصة بامرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة
من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين
خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم
امواتا اي جهالا فاحياكم بالعلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية
ثم اليه ترجعون فيثيبكم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحيوة
حقيقة قوة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز

في القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازايها يقال على
ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
وقال ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها
الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا
او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاء
في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة
على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف
عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم
بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف
لما يلايمها من لذات الاخرة والامها على وجه العرض فان الفاعل لغرض مستكمل
بل انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء
النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان
الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض اذا اريد بها
جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم
استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا
قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه
على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام
وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

اجرام

والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المرتبة عليه بالفاء هذه الا
العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء
على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخا[لف]
ظاهر قوله تعالى بعد ذلك دحيها فانه يدل على تاخير دحو الارض المتقدم على خلق
ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان يستانف بدحيها مقدرا لنصب الارض
فعلا اخر دل عليه ءانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه
خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء
ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا
سبع سموات بدل او تفسير فان قلت اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك
قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش
والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه
الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال
بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان
الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم
رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتت وتبددت اجزاؤها
واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها
ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم
واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين
الايتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان



عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع و[الموت]
والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما
والثانية فانه عالم بها وبمواقعها على جمعها واحيائها الى وجه اثباتها بانه
قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم خلق ما خلق مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم
وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته
وقد سكن نافع برواية قالون وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له
بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد نعمة ثالثة
تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له
انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا
لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان
وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا
بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد
اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث
واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له
صريحا في القران كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم
اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد
والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب
مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسل الله

موجودة

اوكالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات
قايلة بانفسها فاكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل بمختلفة
بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة
في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه
عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق
به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم
المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع و المقول
له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس
ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها
فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال جاعل
من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره و ينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله تعالى في ارضه
وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم و تنفيذ
امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه
وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء

ولم يمكنه ناد ارسل الله اليهم الملايكة ومن كان منهم على رتبة كلمه كما كلم موسى عليه السلام
في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز
عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف
المناسب لهما ليأخذ الغذاء من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله
وهو ذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ
اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل
من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفايدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان
المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله
الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه تعالى وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد
ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم
من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح
شبهتهم كسوال المتعلم من معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله ولا طعن
في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او
استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر
والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع و السبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك الشن وقرئ يُسفك

على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولاً او موصوفاً اي يسفك الدماء
فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى
اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك
والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها
مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه
الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة قالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار
تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلاً عن استخلافه واما باعتبار القوة
العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليماً عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما
يقتصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالاً
قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح
في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر
لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك
تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك اي نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة

وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر
الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال
علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة
من اديم الارض لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافاً او من الادم والادمة
بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه الى الذهن
من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفاً في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان
مركباً او مفرداً مخبراً عنه او خبراً او رابطة بينهما واصطلاحاً في المفرد الدال على
معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني
وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة يتوقف على العلم
بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات
وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها ضمناً
والتقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض اللام
عنه كقوله تعالى واشتعل الراس شيباً لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ ذوات الاشياء او مدلولات
الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها

على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت بهم
وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافه فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة وتحقق
المعرفه والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف
ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد
منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافه بعصمتكم او ان خلقهم
واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرح به لكنه
لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه
بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءات قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا
ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه
واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم
كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله
كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة
الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل
مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام
سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم
المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ
في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده

والجملة خبر ان قال يا ادم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها
بكسر الهاء فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون جاء به
على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا تعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم
على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون
قولهم اتجعل من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافه وانه
لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة وما اسر منهم ابليس من المعصية
والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه
الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ
بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له وذلك يستدعي سابقة
وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم
الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم
والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم
الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما انباهم بالاسماء

وعلمهم مالم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله ودرجته واداءً لحقه واعتذارا
لحقه عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف
عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر وان عطفه والا عطفه بما يقدر
عليه عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة
رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم
فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا راسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له
بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى
لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة
لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات
ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا
لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه
كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به
معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة
منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما

خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله
اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر بالتخضع للمفضول
والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان آدم افضل
من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم
يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال
انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رض روى ان من الملائكة
ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة
ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم
فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان
الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين وكانه قال
فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان
الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة
لعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات
كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما
اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح

ذلك يصح فلك والملايكة خلقت من نور وخلقت الجن من مارج من نار كالتمثيل
لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضي والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور
بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق واذا صارت مهذبة
مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى ولا تزال تتزايد حتى ينطفي
نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم
عند الله ومن فوايد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر
والحث على الايتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله
من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان
بحكم الحال مومنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث انت تاكيد اكد به المستكن ليصح
العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه
تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها انها لم تخلق بعد
قال انها بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا
لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا
وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان
من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها
من بين اشجارها الفائتة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب
عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب



ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان
الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة
او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا يعين من غير قاطع كما لم يعين
في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي
بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها
ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما الشيطان عن الجنة
بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة
مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني
لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة
وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع
من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع من ان يدخل للوسوسة
ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم
يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوا لقوله
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس
اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم

لبعض عدو حال فيها استغنى عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض
بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين يريد به
وقت الموت او القيمة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها
حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين
السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه
بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنها معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على
ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في
اكثر القران انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا من المعصية واذا وصف به
الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع
بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد
او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم
اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة
الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله

تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما
كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاءوا جميعا فاما
ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني
مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون
وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم
نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا
وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم
فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع
والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ
هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن
لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا
من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير القياس

اوابية او اوية كرمكية فاعلت اوابية كقابلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بها اما
الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة تنبيه وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم
عصمة الانبياء عليهم من وجوه الاول ان ادم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب
عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي فقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى
لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر
لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر
من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولا ذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه
الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه وانما
سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغي والعصيان اليه
فياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى
عليه ما جرى معاتبة على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث
انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان
ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى
عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال
انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الاية لانه ليس فيهما ما يدل على ان
تناوله حين ما قال ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف
نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع والرابع انه عليه الصلوة والسلام

اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه الصلوة والسلام
اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى
عليه ما جرى تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة
وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان
عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيها بمفهوم قوله
هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة
تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار
على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب
معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما
هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب
اهل الكتاب والعلم منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق
واقتفاء الحجج ليكونوا اول من امن بمحمد وما انزل عليه يا بني اسرائيل اي يا اولاد يعقوب
والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب
وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان
غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره والحسد على الكفران والسخط

وان نظر الى ما انعم الله به عليهم حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بهما ما انعم على آبائهم
من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن
محمد عليه الصلوة والسلام وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها
درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان
والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل
الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء
بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا
من غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدايم وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه الصلوة والسلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما
مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف
بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة واياي
فارهبون فيما تاتون وتذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف مع تحرز

والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان
بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه
مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق
لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس
والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها عن جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى
فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي تنبيه على
ان اتباعها لا ينافي الايمان بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به
بان الواجب ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم
بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير
اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة
فان قيل كيف نهوا عن التقديم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به
التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول
كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه
او مثل اول من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من
وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا
وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ

الاخرة
الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ
بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا
عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاختاروها وقيل كانوا ياخذون الرشى
فيحرفون الحق واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة
التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء
مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى
لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله
او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من
لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه
ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين
وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم
لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
يعني صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام
بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكا
الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من

الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين
اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشرع قال الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان
تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع
في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله
وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم من البر كالمنسيات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد
على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه
او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني
لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك
والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل
بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع
الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة
وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم

بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من
كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع
العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى
الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشياطين ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى
تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب وروي انه عليه الصلوة والسلام اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها
لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين المخبتين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك
يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده ويتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى
فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط
ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان نفوسهم مرتاضة
بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها
ومن ثم قال عليه الصلوة والسلام جعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم
خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم

عطف على نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا
في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا
يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها
شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه
اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة
صفة ليوما والعائد منها محذوف وتقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف
من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية
العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية ان من يدفع العذاب احد عن احد
من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون
مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي
عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان
فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم
ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة

ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تنفعهم
واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون
يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه واشده
فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة
سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء
اي محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان
اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة
ويراد به الامتحان الشائع من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم
او بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار
من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ
فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم



او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير
لان المسالك كانت اثنتي عشرة بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به
فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى عن ذكره بذكر ابائه وانتم تنظرون
ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم
التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري
ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم
ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود
الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك وهو بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن
الاتباع عن امة محمد صلوات الله عليه فانهم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية
دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على ما
تقرر واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله
موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها
بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا
وعده الوحي ووعد موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده
اي من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة
من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ
آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل

وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى
يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر
في الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم
فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم
برئ المريض والمديون من دينه والانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا
فاقتلوا انفسكم اتماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتل العبدة روي ان الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى
وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب
والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند باريكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى
الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام
لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم باريكم وذكر
الباري وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة
خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه
حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم

الذي

الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك
جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانه نوع من الرؤية او الحال
من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون
هم السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله
الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا ان الله يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز
المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين
في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون
اي ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت
لانه قد يكون عن اغماء ونوم لقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما
رايتم باس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم
المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار
يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول
وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا

ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة
وهو فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه
مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر على البناء للمفعول
وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف
واجتمعت الهمزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت
ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب
الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح
امرهم واشعارا بان الانزال عليهم بظلمهم بوضع غير المامور به في موضعه او على
انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك
الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة اربعة
وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع

من كل

من كل وجه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي
فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله اوللجنس م
وهذا اظهر في الحجة قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر و
يضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه
لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا
في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت او فضرب فانفجرت
كما مر في قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل
سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد
ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد
قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا
كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما
يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه
فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع
ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب
ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد

يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم
طعام مائدة الامير واحد يريدون انها لا تتغير الوانه وبذلك اجمعوا اي ضرب واحد
لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب
فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل
مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير
وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها
بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون
قدرا واصل الدنو في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنا من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه
يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين شيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل
البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فان لكم ما
سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه
او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود
في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وباؤا بغضب من الله رجعوا وصاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان

حقيقا

بان يقتل واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات
التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون
من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم
من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم
اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب
الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي
والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدي الى
ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي
واعتدائهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او ما تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق والذي
حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين آمنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم
المخلصين منهم والمنافقين لانخراطهم والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود
اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى
جمع نصران كالندامى والياء في النصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك

لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة
فسموا باسمها او باسم من اسسها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم
دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن
صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم
مالوا من ساير الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم
اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين
يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا
خبره فلهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن
المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل
الشرطية ورد قول سيبويه بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم
الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا
خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين وعند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف
اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء

بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم
يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب
مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
واصله القطع امروا بان يتجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس في زمن داود عليه السلام
واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان
يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان يدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة
القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن
قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بامر للطلب اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم
في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم

لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم
دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن
صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم
مالوا من ساير الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا من كان امن منهم في دينه ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبداء والمعاد عاملا بمقتضى
شرعه وقيل من امن هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم
اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين
يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضيع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا
خبره فلهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن
المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل
الشرطية ورد قول سيبويه بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم
الطور حتى اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية وراوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا
خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين وعند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف
اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء

بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم
يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع
بعده عند سيبويه مبتدا خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب
مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اللام موطية للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس في زمن داود عليه السلام
واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان
يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت
فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان يدخلها يوم السبت
فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين جامعين بين صورة
القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن
قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا
ليس بامر للطلب اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك
كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اي المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد
لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذا ذكرت حالهم
في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الاخرين او المعاصرين ومن بعدهم

اولما يحضرها من القرى والاهل تلك القرى وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها
من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى
واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وانما فك عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من
مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال
وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه له بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه
على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ او اهله او
مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء ابعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة استبعادا
واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به
على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا قالوا ادع
ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي
او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد
بها شيء من جنسها اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض
وهو القطع كانها فرضت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة
والباكورة عوان نصف قال نواعم من ابكار وعون بين ذلك اي ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف بين اليه فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات

واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها بقرة معينة ويلزمه تاخير البيان
عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت
بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلوة والسلام
لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم
وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه
بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع
نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى
اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة
صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه لان الصفرة بهذا
المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور في الاصل لذة في القلب عند
حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف
زايد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه يعني ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر وتشابه بالياء والتاء
وتشابه بطرح التاء وادغامها على الشين وتشابهت وتشابهت مخففا ومشددا
وتشبه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبهة وانا ان شاء الله

لمهتدون الى المراد ذبحها الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد
واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله وان الامر قد ينفك عن الارادة والا
لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعلق
باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اي لم تذلل للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية
مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية
وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث
هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص
لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي
في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق
اي بحقيقة وصف البقره وحققتها لنا وقرئ الان بالمد على الاستفهام والان
بحذف الهمزه والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقره
المنعوته فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ
ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر فاذا دخل عليها النفي قيل
معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت

سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب
الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم
بعضا او تدافعتم بان طرح كل من نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال فقلنا اضربوه
عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او
القتيل او المجني عنه ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه
فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال
قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على
احياء الانفس كلها على قضيته ولعله تعالى انما لم يحييه ابتداء وشرط فيه ما شرط
لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان المؤثر في
الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير
مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها عن مقابحها بحيث يصل اثره
الى نفسه فيحيي حيوة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم

من التدارك والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة ذلك
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد
يعني بعد احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة
في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائدة عليها
او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من
المبالغة وللدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير
او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى واشد منها
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان من الحجارة ما يتأثر وينفعل فان منها
ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى راس الجبل
انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح
بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من المثقلة
ويلزمها اللام الفارقة عن النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء
ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد
كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه
كنعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون



وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا
سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون
انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه
الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابق في ذلك
واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به
في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على
من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم
او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء
ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع
وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه
جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به
في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما هو عند ربكم من القرآن او بين يدي
رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها
افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به
فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم او لا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما
او المحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها
اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف

الكلام عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة
فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني
جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدره ولذلك تطلق على
الكذب وعلى ما يتمنى وعلى ما يقرا والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا
من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قرءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره
من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة وتمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم
بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء
العلم على كل راي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق
لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها
من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ
الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه
من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل
بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف
وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث
تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة
محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما
وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما

قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا
تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما
او منقطعة بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار
لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي
من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اي استولت عليه
وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في
شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به
ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره
الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولي عليه الذنوب
وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة
سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساؤوا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته
والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون
اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة
على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه على ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته
ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد
وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي عنه سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه
ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه
قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم
ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء وبالوالدين احسانا متعلق
بمضمر تقديره تحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان
الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب حَسَنا بفتحتين وقرئ حُسُنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى
على المصدر كالبشرى والمراد ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريق الالتفات ولعل الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن
اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل
الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون

دماءكم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم و
يصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون عن الجنة
التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم
تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اقرارا اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة به وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة
تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا وقوله
تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم
والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين تخفيفا والباقون تشديدا وقرئ باظهارهما
وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا
حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل
وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد

والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرا حمزة اسرى
وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه
شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه وابن عامر تفدوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم وما بينهما اعتراض والضمير للشان
او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او
بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء
بني النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون
تاكيد للوعيد اي الله تع بالمرصاد ولا يغفل عن افعالهم وفي رواية المفضل تردون
على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على
الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا
على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة
ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده
بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه
اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية
ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال روبة
قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرى

ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل
او روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها
الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي
كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط
ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شانهم
ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل
ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما
ذكره بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او
مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد لولا اني عاصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها
ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون
بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن
من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله
لخلل فيه بل لان الله خذلهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن
اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة
للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم
كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرى بالنصب على الحال
من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون

اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا
يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى
بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا بكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة
لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا وشروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا
طلبا لما ليس لهم او حسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا ان ينزل الله لان ينزل الله
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من
اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به
اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب
المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير
في قوله قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو
خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق مصدقا
لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم انهم لما كفروا
بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم
بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل اباءهم
وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القران
ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى او ذهابه الى الطور وانتم

ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض
وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه
على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة
وكذا الاية التي بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية واجتهدوا واسمعوا سماع قبول
وطاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ
في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن
وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم
وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول
لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح في دعويهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لما امركم بهذه القبائح
ورخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي
ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يامر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان
كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم والمسلمين واللام للعهد فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها
من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت
علي وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا عليه الصلوة والسلام وحزبه وقال حذيفة

حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي تمني سيما اذا علم انها سالمة لا يشاركه
فيها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد عليه الصلوة والسلام
والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة
صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وعن القدرة اخرى وهذه الجملة
اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لاشتهر لان التمني ليس من عمل القلب ليخفى
بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض
والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه
عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها هي الحيوة المتطاولة وقرئ
باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة
والزيادة في التقريع والتوبيخ فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين
دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا
فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم
على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود
احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف لو يعمر الف
سنة حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود
كقولك حلف بالله ليفعلن وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم

وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر
بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم
سانهت وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون
فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل
دخل عمر رضي الله تعالى عنه مدارس اليهود يوما فسالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكيل صاحب الخصب والسلام فقال وما
منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن
كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلوة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل
~~بكسر الراء وحذف~~ ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة ابن كثير وجبرئيل كجحمرش قرءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرئل باللام المشددة وجبرائيل وجبرائل وجبرين
كسلقين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثاني
للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره وتيسيره حال من فاعل نزله مصدقا

لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله
والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته
اياه لتنزيله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم
علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت
غيظا او فهو عدو لي كما قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده
وصدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان المعاداة للواحد والكل سواء في الكفر و
استجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب
لمحبتهم وعداوتهم في الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع ميكائل
كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل
ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق
اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك
اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات
وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا
وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكن يغلب فيما
ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق

النابذ هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول
من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتب كتب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه
ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو القران وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم
الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا
واعلم انه تعالى دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا
بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة
جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة
لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها
حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذوا
كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها وتتبعها الشياطين من الجن او الانس على ملك سليمان
اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها فشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم
الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح وما كفر سليمان
تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما
ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا حمزة وابن عامر والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين
يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير في كفروا والمراد بالسحر ما يستعان
في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه

في الذراري وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن
النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه
صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي
سببه وما أنزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو
به نوع أقوى منه أو على ما تتلوا وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه
وبين المعجزة وما روي أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الأوائل
وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة
الملكين بالكسر وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل
ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل وهي بابل سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان
للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل
ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت
وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الأول
ما يعلمان أحدا حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة وابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا
وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه
دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وإنما المنع من اتباعه والعمل به
وعلى الثاني وما يعلمانه حتى يقولا إنا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير
لما دل عليه من أحد ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي من السحر ما يكون سبب
تفريقهما وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة

بالذات بل بإذنه تعالى وجعله وقرئ بضاري على الإضافة إلى أحد وجعل الجار جزءا منه
والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا
ولا ينفعهم إذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه دليل على أن التحرز عنه أولى
ولقد علموا اليهود لمن اشتراه أي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والأظهر أن اللام لام
الابتداء علقت علموا عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم
يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على اليقين أو حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الإجمالي بقبح الفعل أو
ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن من لم يعمل بما علم فهو
كمن لا يعلم ولو أنهم آمنوا بالرسل والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله وراء ظهورهم
واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو وأصله لأثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به
أنفسهم فحذف الفعل وركبت الباقي جملة اسمية لتدل على ثبوت المثوبة والجزم بخيريتها
وحذف المفضل عليه إجلالا للمفضل من أن ينسب إليه وتنكير المثوبة لأن المعنى لشيء
قليل من الثواب وقيل يكون لو للتمني والمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وإنما
سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير جهلهم
لترك التدبر والعمل بالعلم يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي
حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا أي راقبنا وتأن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته إلى الرعن
أو سبا بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما
يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر إلينا أو انتظرنا من نظره إذا انتظره

وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا
بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعنا وتسبب للسب
واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود
او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين
تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتب ولا المشركين نزلت تكذيبا
لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة
الشيء مع تمنيه ولذلك تستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان
ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصر ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره ولا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم
من الفضل والا حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمة
ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه
بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها
في غيره كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح
الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها
او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على
المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة
وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها او ننسها

اي انت ونسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها
اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه
والاية دلت على جواز النسخ وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاصهما وما يتضمنهما
بالامور المحمودة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم
فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل
ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف
اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به تعالى وليس
المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات
القديم الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته وما لكم وانما افرده
لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق
بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم اي الم
تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى صلوات الله عليه او منقطعة والمراد ان يوصيهم

بالثقة به وترك الاقتراح قيل نزلت في اهل الكتاب حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا
من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح
غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا
وسط السبيل ويؤدي بكم الى الضلال البعيد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ
يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم اي يردوكم فان
لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير
المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند
انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من
اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا
واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي
هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا
كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله تعالى عز وجل بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل عامل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا
عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا

او نصارى

او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع
وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى
تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة
والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان
كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له
نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله
فله اجره الذي عند ربه ثابتا له عند لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس
اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل
لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا المذهبين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك
وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ
منها حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم
ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا وسعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في
الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله عليه الصلوة والسلام
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في
خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان
ينبغي ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترءوا على تخريبها او ما كان الحق ان
دخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله
وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده تعالى وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة رحمه الله
ومنع مالك رحمه الله وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي
او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بظلمهم وكفرهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا
في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان
فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية
لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها
وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت
عليهم القبلة فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا
المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه



للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى
المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم
قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة
وسرعة الفناء لان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما
يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد
لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض التي من جملتها الملائكة
وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه
الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده
وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه ابنا له مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما لاقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة
اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك
وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قول عمرو
بن معدي كرب امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع
وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه
وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع
اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل
من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء

كونًا كقوله وقضى ربك او فعلًا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلع على تعليق الارادة الالهية
بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث
وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور
المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون
باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم
ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى
باعتبار انه السبب الاول قالوا ان الاب هو الاب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر
ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدًا ولذلك كفر قائله
ومنع منه مطلقا حسمًا لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون
من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا
بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود لان يكون
ما اتانا ايات استهانة وعنادًا وكذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت
قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ تشابهت بتشديد الشين
قد بينا الايات لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد
يقين وانما قالوا عتوًا وعنادًا انا ارسلناك بالحق ملتبسًا مؤيدًا به بشيرًا ونذيرًا
فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد
ان بلغت وقرا نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول صلى الله عليه وسلم



عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر
عنها والسامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عليه الصلوة والسلام
عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا
مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي
هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت
اهواءهم اراءهم الزايغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت
الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي
او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن
الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ
عن التحريف والتدبر والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك الذين يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر
بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن
اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم بالكلام معهم مبالغة
في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق

من البلا لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة من يجهل العواقب ظن ترادفهما
والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد المتعلقين
والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة
في قوله تعالى التائبون العابدون الخ وقوله تعالى ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله تعالى
قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم
من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين و
ذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه
الايات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف
تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا ابن عامر ابراهام بالالف
جميع ما في هذه السورة وفي النساء ثلثة احرف وهي الاخيرة وفي الانعام
الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان
وفي مريم ثلاثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي حم عسق حرف وفي
الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك
ثلثة وثلاثون حرفا وقرا ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فاتمهن
فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي قراءة
الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما
استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب
بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على



ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة
مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ومن ذريتي
عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول زيدا في جواب ساكرمك والذرية
نسل الرجل فعيلة او فعولة قلبت راءها الثالثة ياء كما تقضيت من التقضض او فعولة
او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء وهو الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي
لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته
ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت
اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار
او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد
وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم
او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه
حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة
القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه
واتخذوا وعلى ان الخطاب لامة محمد عليه الصلوة والسلام وهو امر استحباب ومقام
ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا
الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام
اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر به فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد الامر بركعتي الطواف

لما روي جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى
خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي رحمه الله في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به
يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي
بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه
والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد به البلد
او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او امنا اهله كقوله ليل نائم وارزق
اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل
البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم
الرزق على الامامة فنبهه سبحانه وتعالى على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فامتعه قليلا
والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا
غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزمه
اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضمير وقرا ابن عامر فامتعه
من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة فيهما على لغة من يكسر حروف المضارعة
واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون

العكس

العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة
من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد
بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد
رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد
وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء
عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد
قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا واجعلنا مسلمين
لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان
التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا
الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم
لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلي على الله سبحانه فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين
كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة

وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا فحذ في
وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة
لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لنفسهما وارشادا لذريتهما انك
انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم من الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير محمد عليه الصلوة والسلام فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلوة والسلام
انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم
ما اوحي اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم
من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الحكيم الذي لا
يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار
لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه
نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد
وبالضم لازم ويشهد ماله ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل
اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير وما خل
بعد بن ناب عيش اجب الظهر ليس له سناما او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى
في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في
الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له
ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمار

اذكر

اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة
والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه
واخطر بباله دلايل المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما
دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر
ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا
نافع وابن عامر اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى هو ايضا
بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين
ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا ان لا اتينا
رجلا عرايانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل
ثمانية وقيل اربعة وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا و
يشسوخون وزبولون وذوني وتفتولي وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله
اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله ولا تموتن الا وانتم
مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان لا
يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت
خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه
وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية

الانكار
يوم مات نزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية
عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال
لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدون واراد به تقريرهم
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شيء
ما لم يعرف فخص العقلاء بمن اذا سيل عن تعينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد
ففقيه او طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على
وجوده الالهية ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه الالوهية
كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال صلى الله عليه وسلم في
العباس هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال وبما تبين
اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا
بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد
ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب
على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل
المقصد وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى
ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون باتباعهم كما قال صلى الله عليه وسلم
لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون

لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود
كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة
ابراهيم اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ بالرفع
اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى
الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه
وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل
الينا قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او لانه سبب للايمان بغيره وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم
لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة
اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
عليه السلام او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق عليهما السلام
وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة
الى موسى وعيسى مغاير لما سبق في صحف ابراهيم والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق
بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي
عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له مسلمون اي لله مذعنون مخلصون فان
امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى

فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل
الباء للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل
طريقكم فان وحدة المقصود لا تابى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة
بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما امنتم به
او بالذي امنتم وان تولوا فانما هم في شقاق اي عرضوا عن الايمان او عما
تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من
المخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد
لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى
انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع
ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغة
وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة
حلية المصبوغ او هدانا هدايته او ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في
قلوبهم تداخل الصبغ الثواب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم
ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل
من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له
عابدون تعريض لهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي

دخول

دخول صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا معطوفا
على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب
قل اتحاجوننا اي تجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي
ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم
لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما
وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما
افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص وكما ان
لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون
نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار
وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة
في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية
على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله تعالى
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليهم اتباعه في الدين وفاقا
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية
والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم

شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله
براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال والاتكاء
عليهم وقيل الخطاب لهم وفي الآية تحذير من الاقتداء بهم في الافتخار وقيل
المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول
السفهاء من الناس

فرد
سرم از عشق جانانست که جان دارم
مستم از مهر تو که با سر و جوان بنشست